ظاهرة الإتباع اللفظي في معجم الصحاح للجوهري دراسة دلالية

The Phenomenon of Verbal Discipline in Al- Sehah for Al- Jawhary: A Semantic Study

م.م.سوزان كامل عبد
Susan Kamel Abd

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب
Al-Mustansiriya University/ College of Arts

الكلمات المفتاحية:
المعجم العربي، الدلالة، التنغيم

Keywords:
Arabic dictionary، semantics، toning

الملخص

الإتباع ظاهرة تقوم على أساس صوتي ينطلق المتكلم إلى التعبير عن حالته النفسية تحت تأثير انفعال ما، فيأتي بكلمة معينة ذات دلالة معينة، تعبر عن تلك الحالة الانفعالية التي يحياها، ثم يأتي بكلمة أخرى توافقها في الوزن والروي بغرض إحداث انسجام صوتي بيت هاتين الكلمتين وهي ظاهرة شائعة لم تنفرد العربية بها فحسب فوجدت بعض أمثلتها في اللغات السامية، وفي اللغات الأعجمية وفي اللغات المعاصرة كالانكليزية والفرنسية، وقد اختلف اللغويون في مفهومهم للإتباع وتسميته.

Abstract

Adherence is a phenomenon based on an acoustic basis. The speaker proceeds to express his psychological state under the influence of some emotion، so he comes with a specific word with a certain significance، expressing that emotional state he lives and then comes with another word that corresponds to weight and narration in order to create an audio harmony between these two words which is a common phenomenon Not only was Arabic unique to it، and some of its examples were found in the Semitic languages، in the lexical languages and in the contemporary languages such as English and French، and the linguists differed in their concept of adherence to and name.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على البشير النذير، أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وأصحابه الهادين إلى سبيل الرشاد. وبعد:

تُعدُّ اللغة مرآةً ترتسم فيها تجارب الشعوب، ومثالاً للبيئة التي نشأت فيها. وتأتي أهميتها على مستويين: الأول فكري، والثاني الاجتماع.

فعلى المستوى الفكري تمثل اللغة مراحل مهمةً للتفكير البشري، إذ نلمس فيها الأثرَ الفاعلَ للعقل الإنسانيّ في قدرته على تصوير الحياة الاجتماعية، للاستفادة منها في المواقف والأحدَاث المختلفة.

لقد أدرك العلماء ضرورة وأهمية ظاهرة الإتباع اللفظي في اللغة؛ فألفوا فيها كتبا مستقلة، فضلا عن إفرادهم لها أبواب ومباحث خاصة في مؤلفاتهم اللغوية.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يستقر في ثلاثة مباحث تسبقهما مقدمة وتليها خاتمة تضمنت أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

درست في المبحث الأول مفهوم الإتباع اللفظي وموقف القدماء والمحدثين منه.

ودرست في المبحث الثاني مفهوم المزاوجة اللفظية وموقف اللغويين منها، والفرق بينها وبين الإتباع.

ودرست في المبحث الثالث الأمثلة التي ذكرها الجوهري في معجم الصحاح، وقد درستها على وفق المنهج التحليلي عارضا النماذج على المعجمات وكتب اللغة الأخرى.

وأخيراً، فإنَّ هذا العمل هو حصيلة جهدٍ، سهرتُ عليه كثيراً، وهبته صبري وإخلاصي، وفاءً بهذه اللغة المباركة التي أحببتها. فإنْ وفقتُ فذلك بحمد الله وحسن توفيقه، وإنْ كانت الأخرى نسأل الله العصمة من الزلل، وندعوه أن يجزينا جزاء المجتهدين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

«المبحث الأول»

مفهوم الإتباع اللفظي

الإتباع في اللغة: "تبع الشَّيء تَبَعاً وتباعاً في الأفعال وتبِعتُ الشَّيء تبوعاً سِرْت في أثره"[1].

الإتباع في الاصطلاح فهو: "ظاهرة صوتية يراد بها أن تتبع الكلمة على وزنها ورويّها إشباعاً وتأكيداً للتوافق والانسجام الصوتي لتقوية المعنى وتأكيده. فالعرب كانت تميل إلى رشاقة اللفظ وتوافر الناحية الموسيقية"[2].

وهي ظاهرة شائعة لم تنفرد العربية بها فحسب فوجدت بعض أمثلتها في اللغات السامية[3]، وفي اللغات الأعجمية وفي اللغات المعاصرة كالانكليزية والفرنسية[4]، وروي أن بعض العرب سئل عن ذلك فقال: "هو شيء نتد به كلامنا، وذلك كقولهم ساغب لاغب، وهو حب صب"[5].

وقد اختلف اللغويون في مفهومهم للإتباع وتسميته، فسماه ابن قتيبة (الازدواج)، وأبو الطيب (الإتباع)، أما ابن فارس فسماه (الإتباع والمزاوجة)، إلا أنه فرق بينهما[6].

وظاهرة الإتباع اللفظي تقوم على أساس صوتي، حيث ينطلق المتكلم إلى التعبير عن حالته النفسية تحت تأثير انفعال ما، فيأتي بكلمة معينة ذات دلالة معينة، تعبر عن تلك الحالة الانفعالية التي يحياها (فرح – حزن – ضيق – سعادة...) ويكون لها هذا المعنى الذي يعبر عنه، ثم يأتي بكلمة أخرى توافقها في الوزن والروي بغرض إحداث

(١) الصحاح: ٩/ ٣٧٥ (تبع).
(٢) المزهر ١/ ٣٢٩
(٣) فقه اللغة المقارن ١٢٨
(٤) الصحابي ٢٦٣
(٥) المزهر / ٣٢٩
(٦) ينظر: مقدمة تحقيق كتاب الاتباع لأبي الطيب اللغوي: ٢٢–٢٣.

انسجام صوتي بيت هاتين الكلمتين، وتُعد تنفيساً عن النفس المنفعلة. وهذا الانسجام او التوافق الصوتي الناتج عن اجتماع هاتين الكلمتين هو غرض في ذاته من تلك العبارة[١].

ويأتي الجانب الدلالي (اي المعنى) في مرتبة الثانية في الاهمية لذلك الغرض، وهو إحداث توافق وانسجام صوتي بين الكلمتين، فالمتلكم يريد ان يعبر عن فكرة او انفعال معين، وقد تم له هذا في الكلمة الاولى: نحو (هو شيطان ليطان) فقد وصف من يريد (وهو فلان) بما يريده (انه شيطان)، اما الكلمة الثانية فقد جاءت لتحدث لك التوافق والانسجام الصوتي بينهما وبين الكلمة الاولى، فيشعر المتكلم براحة نفسية نتيجة للتعبير عن رأيه في شكل مختلف عن كلامه العادي الذي يتكلم به بين الناس، فيتم له هذا في قالب لغوي محدد منغم[٢]، وهذا الامر نجده في كلامنا كل يوم عندما يتكلم الإنسان منفعلاً فيجد نفسه وبدون ان يشعر – يتكلم بكلمات مسجوعة ومنغمة، يشعر بأن ذلك الانفعال يخرج من خلال هذه الكلمات المنغمة. فتهدأ نفسه بذلك، ويخرج عن جو الانفعال السابق[٣].

ولهذا يقال إن المعنى في الكلمة الثانية يأتي تابعاً للكلمة الأولى ولهذا سُميتْ تلك الظاهرة بالإتباع، أي هناك شيء يتبع شيئاً آخر، حيث تتبع الكلمة الثانية الكلمة الاولى:

أولاً: في الصوت (وزناً ورويّا).

ثانياً: في المعنى، (وحوله خلاف) لأنه ليس الغرض الأساسي من تلك العبارة، وذلك القالب اللغوي، ولهذا قد تحمل الكلمة الثانية معنى، أو لا تحمل معنى وفيه خلاف بين العلماء[٤].

ونظراً لأهمية هذا الجانب الصوتي في بناء العبارة الإتباعية كان الاساس الذي ننطلق منه في دراسة تلك الظاهرة (الإتباع) حيث نتابع تعريف القدماء والمحدثين.

---

(١) الاتباع في العربية: ٧٣٩.

(٢) الدلالة الصوتية في اللغة العربية: ٣٣.

(٣) ينظر: دراسات صوتية في روايات غريب الحديث والاثر ٢٨–٢٩.

(٤) ينظر: دراسات صوتية في روايات غريب الحديث والاثر ٤٠.

ان مصطلح الاتباع اللفظي محل خلاف لم يتفق على تعريفه العلماء قدماء ومحدثين، يقول عز الدين التنوخي: "إن علماء العربية قد اختلفوا في الإتباع وتعريفه وتصنيفه، والتبست على بعضهم حقيقته فجعله من باب الإبدال"[1].

فقد تداخلت التعريفات، وكثرت، فبعضهم يأخذ بجانب المعنى أساساً له، وبعضهم يأخذ الجانب الصوتي اساساً له، وبعضهم يأخذ جانب التركيب وبعضهم يجمع بينهما، وهذا يعني أنهم أدخلوا الجانب الصوتي الذي جعلته أساساً لظاهرة الإتباع في الحسبان، بل جعلوه أحد أسس تعريف الإتباع.

يقول ابن فارس: "الإتباع هو أن تتبع الكلمةُ الكلمة في وزنها أو رويها إشباعاً وتوكيداً"[2].

وهو يوضح أن الإتباع هو اتفاق بين الكلمتين صوتياً لغرض التوكيد، وقد تبعه في هذا التعريف أبو البقاء الكفوي، إذ يرى واضاف اليه: ان الثاني لا يكون مستعملاً بإنفراده في كلامهم، وذلك يكون على وجهين: أحدهما: أن يكون للثاني معنى كما في (هنيئاً مريئا). والثاني: الا يكون له معنى، بل ضُم الى الاول لتزيين الكلام لفظاً وتقويته معنى[3].

وهذا التعريف يضيف الاساس الدلالي الى جانب الاساس الصوتي الذي ذكره ابن فارس، وهو ان الثاني له معنى، او لا معنى له، وان غرضه التزيين الصوتي الذي ذكره ابن فارس، وهو ان الثاني له معنى، او لا معنى له، وان غرضه التزيين في هذه الحالة وتقوية المعنى[4].

وهذه الاضافة تؤكد ان المعنى ليس هدفاً في تلك العبارة الإتباعية، بل الاساس هو إحداث هذا النغم او الانسجام الصوتي بين الكلمتين، سواء حملت الكلمة الثانية معنى ام لا.

(١) كتاب الإتباع لأبي الطيب اللغوي ٣.
(٢) المزهر ٢ / ٤١٤
(٣) الكليات لابي البقاء الكفوي ١ / ٣٢.
(٤) الاتباع في اللغة: ٣٤٥.

يقول السيوطي: "إنما سُمي إتباعاً لأن الكلمة الثانية إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد، وليس يتكلم بالثانية مفردة، فلهذا قيل إتباع"[١].

ويقول الآمدي أيضاً: "التابع لا يفيد معنى أصلاً، ولهذا قال ابن دريد: سألت ابا حاتم عن معنى قولهم بسن: فقال لا ادري ما هو"[٢].

ويقول السبكي: "والتابع لا يفيد وحده شيئاً، بل شرط كونه مفيداً تقدم الاول عليه، كذا قاله الإمام فخر الدين الرازي"[٣].

ويرى الأستاذ محمد اديب جمران[٤]:

ان التابع إن لم يكن له معنى في نفسه، او كان بمعنى متبوعه، وجاء ليقويه، ولم يفرد، فهو إتباع. وانه ان كان بمعنى المتبوع وجاء ليقويه، وامكن ان يفرد، فهو ليس بإتباع، بل هو توكيد.

فالمعول عند أبي الطيب اللغوي، إنما هو على التابع، إن كان له معنى، أو لم يكن، مع إمكان إفراده، وليس المعول عنده على الواو كما يرى أبو عبيد في غريب الحديث[٥].

يرى أبو علي القالي أن اللفظ الثاني يدخل في الإتباع حتى وإن كان له معنى، وهو يقول بعكس ما ذكره أبو الطيب أبو الطيب اللغوي: "الإتباع على ضربين، ضرب يكون فيه الثاني بمعنى الاول، فيؤتى به توكيداً، لأن لفظه مخالف للأول، وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الاول، فمن الاول قولهم: رجل قسيم وسيم، وكلاهما بمعنى جميل"[٦].

---

(١) المزهر ٢/ ٤١٥
(٢) المزهر ٢/ ٤١٥
(٣) المزهر ٢/ ٤١٥
(٤) مقدمة تحقيق كتاب الاتباع والمزاوجة لابن فارس: ١٢–١٥.
(٥) الإتباع والمزاوجة لابن فارس ٢١
(٦) المزهر ٢/ ٤١٦

وكذلك جعل السيوطي الاتباع يدخل في باب التوكيد، يقول في باب التوكيد: منه قسم يسمى الإتباع، نحو عطشان نطشان، وهو داخل في حكم التوكيد عند الأكثر، والدليل على ذلك كونه توكيداً للأول غير مبين معنى نفسه عن نفسه كأكتع وأبصع مم أجمع، فكما لا ينطق بأكتع بغير أجمع، فكذلك هذه الالفاظ مع ما قبلها[1].

ثم يذكر السيوطي موضحاً ان النظرة الصوتية هي اساس تلك الظاهرة اللغوية الصوتية بتكرار الكلمة مرة ثانية مع تغيير في احد اصواتها ليبدو لهم في صورة جديدة، يقول "قال: والذي عندي ان هذه الالفاظ تدخل في باب التأكيد والتكرار نحو رأيت رأيت زيداً زيداً، ورأيت رجلاً رجلاً، وانما غير منه حرف واحدٌ لما يجيئون في اثر كلامهم بالتكرار، ويدل على انه انما كرر في اجمع واكتع العين، وهنا كررت العين واللام نحن حسن بسن وشيطان ليطان"[2].

ويفسر د.حسين نصار ذلك بأنه من عادة العرب في اكثر كلامهم التكرار، وان تغيير حرف واحد يعطي العبارة نغماً خاصاً يحرصون عليه كما في حسن بسن، وشيطان ليطان ثم يأتي الجانب الاخير وهو جانب التركيب، حيث رفض كثير منهم ان يكون بين التابع والمتبوع واو فاصلة، ومنهم ابو عبيد القاسم بن سلام حيث يرى ان التابع لا معنى له، ولا يفصل بينه وبين المتبوع بواو، وقد نهج الاصمعي في هذا نفس النهج[3].

ويرى د.تراث حاكم انهم رفضوا وجود الواو بين التابع والمتبوع حتى لا يبدو في شكل تركيبي جديد بوجود هذا الفاصل (الواو)، وهو ايضاً يؤيد تلك الفكرة الصوتية في تكرار الكلمة الثانية بعد الكلمة الاولى الذي يعطي نغماً مخالفاً لتكرار الكلمة الثانية بعد فاصل، وهو الواو، فهناك فرق في الصوت بين حسن بسن، وشيطان ليطان، وعطشان نطشان، وفرق بين حسن وبسن، وشيطان وليطان، وعطشان ونطشان،

(١) ينظر: المزهر ٢/ ٤٢٤

(٢) المزهر ٢/ ٤٢٥

(٣) انظر: الاتباع في العربية: ٢٢١، وغريب الحديث، لابي عبيد ٤/ ٢٦–٢٨

فالفرق بينهم تركيبياً وصوتياً كبير، ولهذا رفض كثير من علماء اللغة وجود هذه الواو مع بقاء العبارة في باب الإتباع بسبب تلك الاختلافات[١].

إن الاتباع اسلوب من اساليب الكلام يقوم على طرفين هما التابع والمتبوع ويربط بين الطرفين التزام بحرف في اخر كل طرف، وبوزن يتساوى فيه الطرفان، ويغلب ان يكون طرفاء اسمين لا فاصل بينهما، وان يكون الثاني بكلمة لا معنى لها، حتى يكون الاسلوب ادخل في باب الإتباع[٢].

ويتلخص القول في الاتباع بقول د.رمضان عبد التواب "الإتباع عبارة عن تأكيد الكلمة بضم كلمة اخرى اليها، لا معنى لها في ذاتها، غير انها تساويها في الصيغة والقافية، بغرض الزينة اللفظية، وتأكيد المعنى، والكلمة الثانية تسمى كلمة الإتباع"[٣].

وقد تبعه د.حسام البهنساوي عند حديثه عن كتاب الإتباع لأبي الطيب اللغوي، قال "وكتابه الإتباع الذي وقفه على حقل الكلمات الموكدة لفظياً، بكلمات مساوية للكلمة المؤكدة، بقصد الزينة اللفظية، او المساواة في القافية مع تأكيد المعنى[٤]".

وهذا يعني ان الغرض من الإتباع:

الزينة اللفظية هي القصد من المساواة في الروي والوزن، لتحقيق الإنسجام الصوتي الناتج من تجاور التابع والمتبوع.

التعبير عن الانفعالات المختلفة، و تحقيق الراحة النفسية عند إفراغ هذا الانفعال في قالب لغوي مُنغم بينه انسجام صوتي يدل على حكمة المتكلم وخبرته.

ان الغرض من الإتباع التوكيد للمعنى وتقويته.

(١) الإتباع في اللغة: ٣٤٩.
(٢) ينظر: مقدمة تحقيق الإتباع والمزاوجة: ٢٧
(٣) فصول في فقه العربية ٢٤٦
(٤) التوليد الدلالي ٢

« المبحث الثاني »

مفهوم المزاوجة

المزاوجة في اللغة: "القرين والنظير والمثيل، وزوجَ الشيء وزوجه اليه قرنَهُ"[1]. وقال الزجاج في قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم معناه: ونظرائهم. وتقول عندي من هذا ازواج اي مثال وازدزج الكلام وتزاوج اي اشبه بعضه بعضاً في السجع او الوزن او كان لإحدى القضيتين تعلق بالاخرى. والمزاوجة والازدواج والتزواج بمعنى واحد[2].

إن لفظ المزاوجة يشير الى معنى المقارنة او المناظرة او المماثلة، ومن هذا المعنى يمكن اطلاق لفظ المزاوجة في اللغة على الظاهرة التي يراعى فيها تماثل او تناظر او قرن شيئين، فيجري احدهما مجرى الاخر، وان كانا مختلفين[3].

وقد بدت ملامح هذا المصطلح على ايدي اللغويين، فابن قتيبة (ت ٢٦٧ هـ) عقد في كتابة أدب الكاتب بابا سماه باب تأويل المستعمل من مزدوج الكلام، و احمد بن فارس في الإتباع والمزاوجة. وتردد هذا المصطلح عند علماء العربية الآخرين وجاء في مواضع متناثرة من كتبهم مقصوراً على امثلة توضح الظاهرة، ولا سيما كتب اللغة والمعجمات[4].

وقد اختلط مفهوم المزاوجة بالإتباع، والدليل اذا عدنا كتب القدماء، نجد ان المزاوجة لم تفصل عن الاتباع وكأنهما ظاهرة واحدة، فهو يقول ابن فارس: هذا كتاب الإتباع والمزاوجة، وكلاهما على وجهين: احدهما ان تكون كلمتان متواليتان على روي واحد، والوجه الآخر: ان يختلف الرويان، ثم تكون بعد ذلك على وجهين:

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٤ / ٣١ زوج.

(٢) ينظر: الصحاح: ٨ / ٣٦٥ زوج.

(٣) المزاوجة اللفظية في العربية: ٢٣–٢٤.

(٤) ينظر: المزاوجة اللفظية في العربية: ٢٣–٢٤.

احدهما ان تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف، والآخر ان تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بينة الاشتقاق الا انها كالإتباع لما قبلها[١].

ويرى د.حاكم الزيادي أن ابن فارس أراد بتلك الواو التي عطفت المزاوجة على الإتباع –وهما عنوان كتابه– عطف الخاص على العام فكأن المزاوجة نوع من الإتباع او شكل منه. وهذا الخلط جعله يودع في كتابه امثلة عدّها من المزاوجة، وهي في الحقيقة ليست كلها من هذا القبيل، فأكثرها إتباع[٢].

ويبدو ان عدم وجود مفهوم دقيق وواضح للمزاوجة لدى ابن فارس بسبب من الخلط واللبس جعله ايضاً يضع امثلة من المزاوجة تحت باب المحاذاة في كتابه الصاحبي، والمحاذاة ظاهرة لا تقف عند اللفظ بخلاف المزاوجة وإنما تتعداه الى المعنى، وقد عرفها بقوله معنى المحاذاة: ان يجعل كلام بحذاء كلام، فيؤتى به على وزنه لفظاً وا كانا مختلفين، فيقولون (الغدايا والعشايا) فقالوا الغدايا لانضمامها الى العشايا. ومثله قولهم (أعوذ بك من السامة واللامة) فالسامة من قولك (سَمّتْ) إذا خصت واللامة اصلها (ألمتْ) لكن لما قرنت بالسامة جعلت في وزنها[٣].

ويتضح ان ابن فارس يعد المزاوجة إتباعاً او نوعاً منه و يعدها مرة اخرى صورة من صورة المحاذاة، غير ان الخلط والاضطراب اللذين لحقا المزاوجة اكثر ما كانا مع الإتباع، حتى انهما لم يقفا عند القدماء بل تسرباً الى المحدثين الذين عُد بعضهم الإتباع مزاوجة من خلال الامثلة التي ساقوها[٤].

يقول د.ابراهيم أنيس: ومن مظاهر الموسيقية في نثر اللغة تلك العبارات الكثيرة التي تشتمل على ما يسمى بالازدواج او المزاوجة مثل (حسن بسن) (شيطان ليطان)،

(١) الاتباع والمزاوجة: ١.
(٢) ينظر: الاتباع في اللغة: ٣٢١.
(٣) ينظر: الاتباع في اللغة: ٣٢١–٣٢٣.
(٤) المزاوجة اللفظية في العربية: ٢٥.

(عفريت نفريت) ونحو هذا من عبارات تنتهي بكلمات لا معنى لها ولا تستعمل مستقلة وإنما جيء لها لتقوية البنية فيما يسبقها من كلمات بترديد الاصوات المماثلة[١].

ويرى د.حاكم الزيادي أن بعضهم بدا على تعريفه للمزاوجة خلطاً وافتقاراً الى الشمولية والدقة إذ يرى ان المزاوجة هي ان تربط اللفظة الاولى برابط مع اللفظة الثانية مثل قولهم في جواب من قال: هاتِ: لا اهاتيك ولا اواتيك فجاء بالرابط وهو الواو[٢].

ويظهر انعدام الدقة والشمولية في هذا التعريف من ان المزاوجة اللفظية ليست بالضرورة ان تربط فيها الكلمتان برابط إذ ان هناك امثلة كثيرة في المزاوجة خالية من الرابط (الواو) كقول النبي ﷺ: اجعن مازوراتٍ غير مأجوراتٍ وغير ذلك كما سيمر. وقد اقتصر هذا التعريف على ذكر الرابط فقط دون ذكر صفات اخرى تتميز بها هذه الظاهرة من قبيل الابدال او الادغام او العدول من صيغة الى اخرى، فضلاً عن ان الإتباع منه مايرد بالواو فيلتبس بذلك مع المزاوجة كقول العباس في زمزم: هي لشارب جلّ وبل و وقولهم: جوعاً ونوعاً[٣].

ويفرّق الاستاذ عز الدين التنوخي التنوخي يقول "إن ما ذكرناه من الإتباع يتبع فيه الثاني الاول، وهناك ما تبع فيه الاول الثاني ويستاهل بعضهم فيسميه إتباعاً، وبعضهم يسميه ازدواجاً، وهو اولى منعاً للاتباس"[٤]، ومن هذا الازدواج ما ورد في الحديث "ارجعن مأزورات غير مأجورات" وصحة اللغة ان يقال (موزورات) ولكنه لجمال التعبير وموسيقاه اتبع (مأزورات) وهو الحرف الاول للحرف الثاني (مأجورات)[٥].

(١) من أسرار اللغة: ٦٤.
(٢) ينظر: الاتباع في اللغة: ٣٢١.
(٣) ينظر: المزاوجة اللفظية في العربية: ٣٣.
(٤) مقدمة تحقيق الاتباع: ١٩.
(٥) الاتباع لأبي الطيب مقدمة التحقيق ٤٦

ومن الازدواج ما يتبع فيه الثاني الاول كما في الاتباع الذي بيناه، ولكنه يخالفه بقصد المزاوجة الموسيقية ومنه الحديث لا دريت ولا تليت، فلقد اتبع الثاني (تليت) للحرف الاول (دريت) [١].

ويمكن تسمية الاتباع هنا من باب الجناس الناقص نحو (مأجور – مأزور) و (دريت – تليت) فالذي يميز بين الكلمتين في كل عبارة هو حرف او حرفين مختلفين في كلا الكلمتين، ولو كان جناساً تاماً لم يكن لهما نفس الإيقاع الموسيقي الناتج عن ذلك الجناس الناقص، وكذلك وجود هذا الحرف في اول الكلمة ليصبح ركيزة صوتية ينطبق منها المتكلم الى باقي الاصوات المتجانسة في الكلمتين، عكس ان تتطابق كل الاصوات تماماً في الكلمتين فلا يحدث تميز صوتي بينهما، بل تكرار لذلك الصوت نحو: انت انت الله.

من هذا الحديث يتبين ان جعل الإتباع ان يتبع فيه الثاني الاول، اما المزاوجة فأنه يتبع فيه الاول الثاني، وهذا هو أساس التفريق بين الاتباع والمزاوجة، لكن وجد العكس، حيث تبع الثاني الاول، وليس بإتباع، لهذا لا يصلح ان يكون أساساً للتفريق معنى في ذاته ويمكن ان يستخدم منفرداً بنفس المعنى الوارد في عبارة المزاوجة[٢].

ويشير د.حسين نصار الى وسائل تحقيق المزاوجة أو الانسجام الصوتي او الموسيقى بين الطرفين فيقول: ومصدر هذا التناسب جناس ناقص يربطهما و مشاكلة في السجع و ارتباط بوزن[٣].

ويرى الاستاذ عبد الله العلايلي فرأى انها لا تخص وجهاً من وجوه الكلام، بل تعم وجوهه كلها، وتكون في المفرد كما تكون في الجمع وتكون في الكلام كما تكون في الكلمة، ولعل غلبتها على الافعال في الامثلة التي درسها دفعته الى جعلها قاصرة على

(١) ادب الكاتب: ٣٧
(٢) ينظر: الاتباع في العربية: ٣٧٢–٣٧٣.
(٣) الإتباع والمزاوجة ٣٠

القصة، وهو يرى انها تجري في الحروف المتقاربة، والمنقلبة كانقلاب الواو الى الهمزة، وانها لا تفيد العمل الاشتقاقي، وانما غرضها التناسب بين مفردات الجملة الواحدة[١].

وهذا التنوع في وسائل تحقيق التناسب الموسيقي الذي أشار اليه يوضح مدى الفرق بين الإتباع وبين المزاوجة، حيث يكون التناسب الموسيقي من الكلمتين في الإتباع مصدره فقط الاتفاق بينهما في الوزن والروي، والكلمة الثانية أتت لتحدث إيقاعاً صوتياً وتناسباً صوتياً مع الكلمة الأولى ولهذا فهي لا تحمل معنى، ولا يفصل بينهما وبين اختها بفاصل ولو كان الواو[٢].

ولهذا فموسيقى الإتباع تختلف عن موسيقى المزاوجة، فلو قمنا بوزن العبارة في الإتباع العبارة في المزاوجة لتبين الفرق بينهما خصوصاً لو كان الوزن عروضياً. فعبارة إتباع شيطان ليطان، تأتي موسيقاها من تكرار هذا الوزن (فعلان فعلان)، وكذلك عزيز (فعيل فعيل)، ولهذا لا تحتمل هذه العبارة موسيقياً إدخال الواو بينهما حيث هذه العبارة ذلك الانسجام الصوتي الموجود بين طرفيها الناتج عن تكرار هذا الوزن (فعلان او فعيل)[٣]. وهو ما ذهب اليه د.مختار غازي طليمات حيث يرى أنّ المزاوجة تعني تجاور لفظين في الروي، او متجانسين تجانسا ناقصاً يفصل بينهما فاصل[٤]. ينتج عنهما انسجام صوتي ورنين متماثل فيقع في الاذن عذباً، وفي اللسان حلواً"[٥].

خلاصة الفرق بين الإتباع والمزاوجة:

من حيث المعنى: التابع في المزاوجة له معنى مستقل عكس التابع في الإتباع فقد لا يستقل.

من حيث التغيير: التابع في المزاوجة يتم تغيير بنيته ليؤدي الى تماثل صوتي مع متبوعه بخلاف التابع في الإتباع، فهو يأتي موافقاً لمتبوعه بدون تغيير أو تبديل، وهنا

(١) مقدمة لدرس لغة العرب ٢٢١

(٢) فقه اللغة العربية د.صد الزيدي: ٤٤٢.

(٣) المزاوجة اللفظية في العربية: ٢٧ –٢٨.

(٤) ابن فارس اللغوي النحوي ٧٦

(٥) دراسات صوتية في روايات غريب الحديث والاثر ٣٦.

يتفقان (الإتباع والمزاوجة) في أنهما ينتج عنهما انسجام صوتي و رنين متماثل فيقع في الاذن عذباً [1].

(١) ينظر: دراسات صوتية في روايات غريب الحديث والاثر ٣٦–٣٩.

« المبحث الثالث »

دراسة تطبيقية

وقد تابع الجوهري اللغويين في القول بالإتباع اللفظي في اللغة، وأورده بصور مختلفة؛ وكثيرا ما أشار إليه في المواد اللغوية في معجم الصحاح، وأمثلته كثيرة ومتنوعة، وقد نصَّ في عددٍ منها على أنَّها من الإتباع. ولم ينص في ألفاظ أخرى على ذلك، ولكنَّنا نستطيع الاستنتاج أنَّها من الإتباع قياساً على الألفاظ المذكورة وبإجراء الشّروط التي وضعها المعنيون بالإتباع، وأمثلة الإتباع عنده منها ما كان اسمياً، ومنها فعلياً. وهو يذكر أحياناً معنى اللفظة، وأحياناً أخرى يكتفي بذكر أنَّها بمعنى واحد، أو أنَّه لا يذكر شيئاً عنها فيكتفي بذكر الألفاظ. ويتّسم منهجه بالآتي:

❖ **أولاً: النصّ عليه مباشرة والتنبيه عليه.**

فمن ذلك قوله: "والجُوس –بالضم– إتباع الجوع، يقال: جوعا له وجوسا له"[(١)]. الجوس هو الجوع أيضا، ويدخل في باب التوكيد إذا أفرد، "ويقال في الدعاء على الرجل: جوعا وجودا وجوسا، فالجود هو الجوع بعينه"[(٢)]. فالجود هو الجوع على لغة هذيل، وأضاف أبو عبيد جوعا له ونوعا وجوسا، ومعناه بعدا له[(٣)].

قال أبو خراش الهذليّ:

تكادُ يَداهُ تُسْلِمانِ إزارَهُ مِنَ الجُودِ لمّا استَقْبَلَتْهُ الشَّمائِلُ[(٤)]

فهذا الإتباع الحاصل بين اللفظين، جعل اللفظين يتوافقان في المعنى، فهو نتيجة من نتائج اختلاف اللهجات.

(١) الصحاح: جوس ٨٢.
(٢) الإتباع: ٣٥.
(٣) الغريب المصنف: ٢/ ٤٠٨.
(٤) ديوان الهذليين: ٢/ ١٤٩، ورواية البيت: تسلمان رداءه.

❖ **ثانياً: الاكتفاء بذكر المثال أحيانا من دون النصّ على الإتباع.**

فمن ذلك قوله: "وخفيف ذفيف، وخفيفة ذفيفة، ومنه حديث سهل بن أبي امامة: دخلت على أنس رضي الله عنه فإذا هو يصلي صلاة خفيفة ذفيفة كأنها صلاة مسافر، وقال الأعشى[1]:

يطوفُ بِها ساقٍ علينا مقوَّمُ خفيفٌ ذفيفٌ ما يزالُ مُنَدَّما[2]

فالذفيف هو السريع، وقولهم للخادم: خفيف ذفيف وخُفاف ذُفاف أي سريع في الخدمة[3].

❖ **ثالثاً: أورد أمثلة للإتباع بالواو وقال إنها من الإتباع.**

إذ يقول: "وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما تركت من حاجة ولا داجة إلا أتيت..... يقال: داجة إتباع لحاجة، ويقال: الداجة ما صغر من الحوائج؛ والحاجة ما عظم منها"[4]. و"لفظ داجة هنا مخفف إتباع للحاجة، فنسقت عليها لخلافها لفظها[5]، ومنه قولهم: "قضى الله لك كل حاجة وداجة –بالتخفيف–... ولا يفرد الداجة"[6]. وهذا يعني أنه يقبل الإتباع بالواو.

❖ **رابعاً: يرى أن ما له معنى ويمكن إفراده فهو ليس من الإتباع، وما لا يمكن إفراده فهو من الإتباع، وهو بهذا موافق لأبي الطيب في موقفه من الإتباع.**

---

(١) الصحاح: خفف ١٩٧–١٩٨.
(٢) ديوانه: ٢٩٣، ورواية البيت: علينا متوّم.... ما يزال مفدّما.
(٣) الإتباع والمزاوجة: ١٠٦، وينظر: المخصص: ١٤/ ٣٠، وتاج العروس: ٢٣/ ٣١٧.
(٤) الصحاح: دوج ١٥٤، والصحاح: ٣/ ٨٨.
(٥) الزاهر: ٢/ ٢٣٩، الصحاح: ١/ ٣١٣.
(٦) الإتباع: ٤١–٤٢.

إذ يقول: "أرض يباب: أي خراب، يقال خراب يباب، وليس بإتباع، لأنه يفرد"[١]. والخراب واليباب واحد، قال الشاعر:

فَرَماهُ الزمانُ منهُ بصرفٍ غادرَ المُرْتَعَ الخَصيبَ يَبابا[٢]

فاليباب هو الشيء الخالي الذي لا شيء فيه، ومنه قولهم: حوضٌ يباب أي فارغ لا ماء فيه، فهو وصف لما قبله ويمكن إفراده في الكلام[٣]، ومنه أيضاً قول عمر بن أبي ربيعة:

كَسَتْ الرياحُ جَديدَها منْ تُرْبِها دُقَقا وأصبحتِ العراصُ يبابا[٤]

وقال أيضاً: "المِلغ –بالكسر–: النذل الأحمق الذي يتكلم بالفحش، يقال: بِلغ مِلغ، وقد يفرد الملغ، قال رؤبة:

والمِلْغُ يَلْغى(٥) بالكلامِ الأَمْلَغِ لولا دَبوقاءٍ استْهُ لَمْ يَبْطَغِ[٦]

فدلّ على انه ليس بإتباع"[٧]. وقال أبو الطيب: "والمِلغ من الرجال النذل، والبِلغ الذي يبلغ ما يريد بحمقه، وقال أبو عبيدة: البلغ الذي بلغ الغاية في الحمق"[٨]، قال رؤبة:

بِلغ إذا استنطقتني صموت[٩]

(١) الصحاح: يبب ٤٤٣.
(٢) الإتباع: ١١٣، والإتباع والمزاوجة: ٤٧.
(٣) ينظر: أساس البلاغة: ٢/ ٥٥٨، وتاج العروس يبب: ٤/ ٤١٤.
(٤) ديوانه: ٤١١، والرواية: فأصبحت العراص.....
(٥) وردت هذه الرواية عند ابن فارس: الملغ يلغى....، الإتباع والمزاوجة: ١٠٣، وجاء في الصحاح: يلكى.
(٦) ديوانه: ٩٨.
(٧) الصحاح: ملغ ٧٨.
(٨) الإتباع والمزاوجة: ١٠٣، والمخصص: ١٤/ ٣٧.
(٩) ديوانه: ٩٨.

❖ خامساً: إنه لا يشترط أن يتكوّن الإتباع بين لفظين، فأورد إتباعاً مكوّناً من ثلاثة ألفاظ.

من ذلك قوله: "وإنه لقبيح شقيح لقيح"[١]، فأراد أنه في منتهى القبح، والأصل مشقوح أي مكسور، كما في قول العرب: لأشقحنّك شقح الجوز بالجندل، أي لأكسرنّك؛ ليكون معناه قبيحا مكسورا، أما لقيح فهو مأخوذ من لقحت الناقة ولقح الشجر ولقحت الحرب، فمعناه مكسور حامل للشر، واتبعوه أيضا: شقيح نبيح[٢].

وقوله أيضاً: "رجل منّاح ميّاح فيّاح: إذا كان كثير العطايا"[٣]. فالمنحة –بالكسر–: العطاء، فالميح يخرج للعطاء مجازاً[٤]، وكذلك الفوحان يدل على الانتشار والتوسع، ومنه يقال مجازاً على الرجل: رجل فيّاح فيّاض نفّاح أي كثير العطايا[٥]. فهذه الكلمات تلتقي في الدلالة على العطاء.

وقوله أيضاً: "وإنه لخبيث لبيث نبيث: إتباع"[٦]، وفي اللسان: "نجيث لبيث"[٧]. ويعني: إنه شرير مجازاً، أما اللبيث فتطلق على الجماعة، والنبيثة هي تراب البئر التي تحفر باليد، فالنبث عن الأمر: البحث[٨]. وهو مأخوذ من نبثت البئر، أي أخرجت نبيثتها[٩]. ومنها انتقل معنى بحث الخبيث عن أمور الناس وتجميعه لها بدقة[١٠]. فالأصل أن يقول: نابث، إلّا أنه زاوج بين اللفظين وقلب الألف ياء[١١].

---

(١) الصحاح: شقح ٣٢٦، ينظر: الغريب المصنف: ٢/ ٤٠٩، والإتباع: ٥٥ – ٥٦ – ٧٦، الإتباع والمزاوجة: ٥٥.

(٢) المخصص: ١٤/ ٣٠.

(٣) الصحاح: منح ٤٤٩ – ٤٥٠، ولم أجد هذا المثال في كتب الإتباع.

(٤) ينظر: أساس البلاغة: ٢/ ٤٠٩.

(٥) ينظر: أساس البلاغة: ٢/ ٢٢١، وتاج العروس فيح: ٧/ ٣٣.

(٦) الصحاح: لبث ٣٨٧.

(٧) الصحاح لبث: ٤٤/ ٣٩٨٣.

(٨) ينظر: تاج العروس نبث: ٥/ ٣٦٨ – ٣٦٩.

(٩) ينظر: البئر: ٥٧، والمخصص: ١٤/ ٢٩.

(١٠) ينظر: تاج العروس: لبث: ٥/ ٣٣٩، نبث: ٥/ ٣٦٨.

(١١) ينظر: المخصص: ١٤/ ٢٩.

❖ **سادساً: أورد أمثلة حدث فيها مزاوجة بين الألفاظ التي جاء فيها الإتباع وأشار إلى التغيير الحاصل في اللفظ مراعاة لموسيقى العبارة.**

فمن ذلك قوله: "وقول النبيﷺ (خير المال مهرة مأمورة، أو سكة مأبورة)، إنما قيل مهرة للازدواج، وذلك لأنهم اتبعوها مأبورة فلما ازدوج اللفظان جاؤوا بمأمورة على وزن مأبورة، كما قالت العرب جاء بالغدايا والعشايا، ويريدون الغدوات، فجاؤوا بالغدايا على لفظ العشايا تزويجا للفظين"[١].

وقوله أيضاً: "قولهﷺ للنساء (ارجعن مأزورات غير مأجورات) إنما هي مؤزورات من الوزر، فقيل مَأْزورات على لفظ مَأْجورات ليزدوجا"[٢]. فحصل إبدال بين الألف، والواو للإتباع والمزاوجة وقوله أيضاً: "وإذا قالوا ما سمعت له حِسّا ولا جِرسا؛ كسروا واتبعوا اللفظ باللفظ"[٣]. ويعني ما سمعت له حركة ولا صوتاً[٤].

❖ **سابعاً: انفرد الجوهري بايراده أمثلة للإتباع لم يذكرها سابقوه، ومنهم أبي الطيب وابن فارس.**

منها: تبّا وتلبا، شغب جغب، عزب لزب[٥]، بحت محت، خبيت نبيت[٦]، رفث نِكث، فثّ فذّ[٧]، خرّاج ولّاج[٨]، مكلح مبلح[٩]، ضِرس شِرس، جِبس عِبس لِبَس، شكِس لكِس[١٠]، خِلط مِلط[١١]، قحاف نقاف[١٢].

---

(١) الصحاح: أمر ٤٣٣.
(٢) الصحاح: أجر ٣٤٢.
(٣) الصحاح: جرس ٦٦.
(٤) ينظر: الإتباع والمزاوجة: ٨٢.
(٥) الصحاح: تلب ٣٠٩، جغب ٣٥٨، عزب ١٢٤.
(٦) الصحاح: ٢٤، خبت ٦٢.
(٧) الصحاح: رفث ٣٠٩، فثث ٣٦٥.
(٨) الصحاح: خرج ١٠٢.
(٩) الصحاح: كلح ٣٨٤.
(١٠) الصحاح: : ضرس ٢٣٥، شكس ٢٢٢، عبس ٢٥٨.
(١١) الصحاح: خلط ٢٠٢.
(١٢) الصحاح: قحف ٤٩٠.

الخاتمة

يطيب لي أن أبين ما توصلت إليه في هذا البحث والتي هي خلاصة جهد مثابر وسعي صادق في سبيل خدمة اللغة العربية العزيزة. وقد أبرزت هذه الدراسة نتائج تمثلت على النحو الآتي:

١- قضية الإتباع ظاهرة لغوية يحرص عليها المتكلمون قديماً وحديثاً، بل أنهم يتناقلون تلك العبارات جيلاً بعد جيل في مواقفهم الحياتية المختلفة.
٢- يهدف الإتباع اللفظي إلى:

- تحقيق هذا الانسجام الصوتي الناتج من تجاور التابع والمتبوع.
- التعبير عن الانفعالات المختلفة، والتي تتشابه في كل الأجيال.
- تحقيق الراحة النفسية عند إفراغ هذا الانفعال في قالب لغوي مُنغم بينه انسجام صوتي يدل على حكمة المتكلم وخبرته.

٣- الفرق بين الإتباع والمزاوجة:

- من حيث المعنى: التابع في المزاوجة له معنى مستقل عكس التابع في الإتباع فقد لا يستقل.
- من حيث التغيير: التابع في المزاوجة يتم تغيير بنيته ليؤدي إلى تماثل صوتي مع متبوعه بخلاف التابع في الإتباع، فهو يأتي موافقاً لمتبوعه بدون تغيير أو تبديل، وهنا يتفقان (الإتباع والمزاوجة) في أنهما ينتج عنهما انسجام صوتي ورنين متماثل فيقع في الأذن عذباً.

المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم.**

١- **ابن فارس اللغوي النحوي:** د.فايز الدّاية.ط١ ، دار الفكر للطباعة والتوزيع، المطبعة العالمية بدمشق.النّشر—دمشق١٤٠٥هـ—١٩٨٥م.

٢- **الاتباع:** لأبي الطيب اللغوي، تح: عز الدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦١.

٣- **الاتباع في العربية:** د. حسين نصار، مجلة اللسان العربي، مج٧، ج١، ١٩٧٠.

٤- **الاتباع في اللغة:** د. حاكم مالك الزيادي، مجلة القادسية، م١، ع١، ١٩٩٥.

٥- **الاتباع والمزاوجة:** لابن فارس، تح: محمد أديب عبد الواحد، وزارة الثقافة السورية، دمشق، ط ١، ١٩٩٥.

٦- **ادب الكاتب:** لابن قتيبة الدينوري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المطبعة التجارية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٣.

٧- **أساس البلاغة:** للزمخشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٣، ١٩٨٥.

٨- **تاج العروس من جواهر القاموس:** للزبيدي، بتحقيق مجموعة من الأساتذة، وزارة الاعلام الكويتية — المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط ٢، ١٩٦٨ — ٢٠٠١.

٩- **التوليد الدلالي:** د. حسام بهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦.

١٠- **دراسات صوتية في روايات غريب الحديث والاثر:** د.صلاح كاظم داوود، مكتبة نور الحسن، بغداد، ط١، ٢٠١٣م.

١١- **الدلالة الصوتية في اللغة العربية:** د.صالح سليم عبد القادر، مكتبة الحديث، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.

١٢- **ديوان الهذليين:** دار صادر، بيروت، د. ت.

١٣- **الزاهر في معاني كلمات الناس:** لابن الأنباري، تح: حاتم صالح الضامن، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ٢، ١٩٨٧.

١٤- **الصاحبي في فقه اللغة:** لابن فارس، تح: د. عمر فاروق الطباع، دار ومكتبة المعارف، بيروت، ط ١، ١٩٩٣.
١٥- **تاج اللغة وصحاح العربية:** للجوهري، تح: احمد عبد الغفور العطار، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٦.
١٦- **غريب الحديث:** لابي عبيد القاسم بن سلام، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
١٧- **الغريب المصنف:** لأبي عبيد القاسم بن سلام، تح: د. صفوان عدنان، دار الفيحاء، دمشق، ط ١، ٢٠٠٦.
١٨- **فصول في فقه العربية:** رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٦، ١٩٩٩.
١٩- **فقه اللغة العربية:** د. كاصد ياسر الزيدي، دار الكتب للطباعة، جامعة الموصل، ط ١، ١٩٨٧.
٢٠- **فقه اللغة المقارن:** د. إبراهيم السامرائي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧.
٢١- **الكليات:** لابي البقاء الكفوي، عالم الكتب الحديث، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٢- **الصحاح:** للجوهري، تح: لجنة في دار المعارف بمصر، د. ت.
٢٣- **المخصص:** لابن سيده الأندلسي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت.
٢٤- **المزاوجة اللفظية في العربية:** د.تراث حاكم مالك، م.واثق غالب هاشم، مجلة القادسية للعلوم الانسانية، مج ٣٣، ٢٠٠٨م.
٢٥- **المزهر:** للسيوطي، تح: محمد احمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ٢٠١١.
٢٦- **معجم مقاييس اللغة:** لابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٩.
٢٧- **مقدمة لدرس لغة العرب:** لعبد الله العلايلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ٢٠٠٧م.
٢٨- **من أسرار اللغة:** د.إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.